محاضرة: دولة المرابطين (1056 – 1147)

الأهداف

- تحديد الامتداد الجغرافي والزمني لدولة المرابطين.

-تحليل دور عبد الله بن ياسين ودعوته في تأسيس الدولة

-تحليل دور يوسف بن تاشفين في إقامة الدولة وتوسيعها

-تحليل عوامل السقوط

المقدمة:

يرى المحللون أن دولة المرابطين هي الدولة الوحيدة التي نشأت في المغرب الإسلامي والأندلس على أساس ديني خالص يتأسى بنموذج الدولة التي أسسها النبي ﷺ، وكان ما حققته من نفوذ مثيرا للإعجاب والتبجيل، وأكسبها هيبة أخضعت لها العدو قبل الصديق. في هذه المحاضرة سنتناول ظروف نشأة الدولة المرابطية من خلال تحليل دور الرباط الذي أسسه صاحب دعوتها، وسنتناول الدور الذي لعبته في بسط نفوذها على المغرب، وكيف تمكنت من إطالة عمر الحكم الإسلامي بالأندلس بإيقاف الزحف الإسباني وعزل ملوك الطوائف.

1-الامتداد الجغرافي

سيطرت دولة المرابطين على رقعة جغرافية تمتد من المحيط الأطلسي غربًا وبلاد شنقيط وحوض نهر السنغال جنوبًا وهو مسقط رأس الحركة، وامتدّت شرقًا لتحاذي إمبراطورية كانم وتزاحمها على بحيرة تشاد في الصحراء الكبرى. وامتد هذا المجال في الشمال مخترقا جبال الأطلس بتلالها وكبيرها ومتوسطها وصغيرها، وتجاوزت البحر المتوسط فشملت أجزاء من شبه الجزيرة الأيبيرية، وسيطرت على الأندلس. كانت تحدّ دولة المرابطين من الشمال ممالك قشتالة ونبرّة وأراغون، ومن الشرق إمارات بني زيري وبني حماد، وفي جنوب الصحراء بحكم الأمر الواقع، كل من ممالك بامبوك وبوري ولوبي وإمبراطوريتي مالي وغانا.

2-التعريف بالمرابطين

مصطلح "المرابطون" يأتي من الكلمة العربية "المرابط"، في اللغة العربية، تعني كلمة "المرابط" حرفيًا "الشخص الذي يربط" ولكنها تعني مجازيًا "الشخص المستعد للمعركة في الحصن". كان اسم "المرابطون" مرتبطًا بمدرسة من مدارس الشريعة المالكية تسمى "دار المرابطين" التي أسسها عالم يُدعى **وجاج بن زلو**

في السوس الأقصى (المغرب حاليا). أرسل ابن زلو تلميذه **عبد الله بن ياسين** للتبشير بالإسلام المالكي بين البربر الصنهاجيين. ومن ثم، فإن اسم المرابطين يأتي من أتباع دار المرابطين، "بيت أولئك الذين كانوا مرتبطين معًا في سبيل الله". وقيل إن عبد الله بن ياسين مؤسس الرابطة هو من اختار هذا الاسم في وقت مبكر.

3–من الدعوة إلى التأسيس

في أعماق صحراء موريتانيا تعيش قبائل البربر ذات الطابع البدوي، ومن قبائل البربر الكبيرة كانت قبيلة "صنهاجة"، وكانت قبيلتا "**جُدَالَة ولَمْتُونة**" أكبر فرعين في "**صنهاجة**"... كانت "جُدَالة" تقطن جنوب موريتانيا، وكانت قد دخلت في الإسلام منذ قرون، وكان على رأس جدالة رئيسهم **يحيى بن إبراهيم الجدالي**، وكان لهذا الرجل فطرة سوّية وأخلاق حَسَنة. لكن أوضاع **جدالة** كانت في منتهى الفساد والانحلال، وكان المغرب الأقصى في ذلك الوقت في محنة سياسية ودينية، حيث ظهرت دعوات منحرفة عن الإسلام وحقيقته وجوهره الأصيل، واستطاعت بعض الدعوات الكفرية أن تشكل كيانًا سياسيًا تحتمي به.

خرج **يحيى بن إبراهيم** إلى الحج وفي طريق عودته ذهب إلى القيروان، وقابل هناك **أبا عمران موسى بن عيسى الفاسي** (368هـ-430 هـ/ 979م-1039م)، وهو شيخ المالكية في مدينة القيروان. وطلب منه أن يرسل معه رجلا يهذي قومه ويعلمهم، فاختار له **عبد الله بن ياسين**.

أ–شخصية عبد الله بن ياسين

هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي، الزعيم الأول للمرابطين، وجامع شملهم، وصاحب الدعوة الإصلاحية فيهم. ت451 هـ= 1059م، من شيوخ المالكية الكبار، له طلاب علم كثيرون في أرض المغرب كلها، كانوا يأتون إليه ويستمعون منه، وكان يعيش في حاضرة من حواضر الإسلام على ساحل البحر الأبيض المتوسط. فقبل القيام بهذه المهمة الكبيرة، وفضّل أن يُغوّر في الصحراء ويترك دعة العيش التي كان فيها ليعلّم الناس الإسلام. لم يكن عبد الله بن ياسين فقيهًا فحسب وإنما استوعب العلوم والمناهج التي كانت في زمانه من أصول وفقه وحديث ولغة وغير ذلك وعاش تجارب كثيرة وأحاط بالكثير من مجريات الأمور التي تدور حوله، إضافة إلى ذلك اتصف ابنُ ياسين رحمه الله بالكثير من الصفات الأخلاقية والقيادية منها ما كان فطريًا ومنها ما اكتسبه بمجاهدته لنفسه وطول عبادته لربه، ومن أهمّ ما يميّز الشيخ أيضًا فهمه للواقع وأخذه بفقه الأولويات ومعرفة هدفه والعمل له بجدٍ واجتهادٍ وهمةٍ عاليةٍ وعزيمة صادقة.

ب–الرباط

اتّجه الشيخ عبد الله بن ياسين صَوْب الصحراء الكبرى، مخترقًا جنوب الجزائر وشمال موريتانيا حتى وصل إلى الجنوب منها، حيث قبيلة جُدَالة، وحيث الأرض المجدِبة والحرّ الشديد، وفي أناةٍ شديدة، وبعد ما هالَه أمر الناس في ارتكاب المنكرات أمام بعضهم البعض ولا ينكر عليهم منكر، بدأ يعلم الناس، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فقاموا بضربه ثم طردوه. اتجه إلى شمال السنغال حيث اعتزلهم عبد الله بن ياسين، متنسكًا في جزيرة، قال ابن خلدون: " يحيط بها النيل، ضحضاحًا في الصيف، يخاض بالأقدام، وغمرًا في الشتاء يعبر بالزوارق " صنع خيمة بسيطة له وجلس فيها وحده، ثم بعث برسالة إلى أهل جُدالة في جنوب موريتانيا، تلك التي أخرجه أهلُها منها يخبرهم فيها بمكانه، فمن يريد أن يتعلم العلم فليأتني في هذا المكان. فلحق به خمسة نفر، ثم زاد العدد إلى العشرة والعشرين حتى بلغ العدد في سنة 440 هـ= 1048 م، بعد أربعة أعوام فقط من بداية دعوته ونزوحه إلى شمال السنغال إلى ألف نفس مسلمة. وفي قبائل صنهاجة المفرّقة والمشتتة توزّع هؤلاء الألف الذين كانوا كما ينبغي أن يكون الرجال، فأخذوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يعلمون الناس الخير ويعرفونهم أمور دينهم، فبدأت جماعتهم تزداد شيئًا فشيئًا، وبدأ الرقم يتخطى حاجز الألف إلى مائتان وألف ثم إلى ثلاثمائة وألف.

ج–التأسيس

وتنشأ دولة المرابطين من هذه الدعوة، وأرضها آنذاك شمال السنغال وجنوب موريتانيا، وبعد استشهاد عبد الله بن ياسين في سنة 451 هـ/ 1059م، يتولى **أبو بكر بن عمر اللمتوني** زعامة المرابطين بعد أن كان قد انضم هو وقبيلته إلى المرابطين، ويزداد أعداد المرابطين في عهده، وتتوسع الدولة، وينيب عنه ابن عمه **يوسف بن تاشفين** زعيمًا على المرابطين، ويذهب لنشر الإسلام في السنغال وغيرها من بقاع إفريقيا. أما يوسف بن تاشفين فلقد حارب حاييم صاحب مغراوة، وصالح بن طريف صاحب برغواطة؛ لابتداعهما وادعائهما النبوة، وبدأ ينشر الإسلام، حتى عاد أبو بكر بن عمر اللمتوني، فلما وجد يوسف بن تاشفين وقد نشر الإسلام وحارب أعداء الدين؛ فتنازل له عن الحكم وذهب إلى إفريقيا لنشر الإسلام، وقبل وفاته كانت دولة المرابطين تسيطر على ثلث إفريقيا.

ويعود الشيخ أبو بكر بن عمر اللمتوني في سنة 468 هـ-1076 م بعد خمس عشرة سنة من الدعوة في جنوب السنغال وأدغال أفريقيا، ليجد يوسف بن تاشفين الذي كان قد تركه فقط على شمال السنغال وجنوب موريتانيا في سنة 453 هـ-1061 م قد سيطر على: السنغال بكاملها، وموريتانيا بكاملها، والمغرب الأقصى، والمغرب الأوسط، وإفريقية، ويأتمر على جيش يصل إلى مائة ألف فارس غير الرجالة، يرفعون راية واحدة ويحملون اسم المرابطين. وقد أسس مدينة "مراكش"، واتخذها عاصمة له.

نزل الشيخ أبو بكر بن عمر اللمتوني رحمه الله مرة أخرى إلى أدغال أفريقيا يدعو من جديد، فأدخل الإسلام في غينيا بيساو جنوب السنغال، وفي سيراليون، وفي ساحل العاج، وفي مالي، وفي بوركينا فاسو، وفي النيجر، وفي غانا، وفي داهومي، وفي توجو، وفي نيجريا والكاميرون، وفي أفريقيا الوسطى، وفي الجابون.

كانت بداية المرابطين سنة 440 هـ= 1048 م برجل واحد فقط هو الشيخ عبد الله بن ياسين، ووصلت بعد ثمان وثلاثين سنة، وتحديدًا في سنة 478 هـ- 1085م، إلى دولة عظيمة بزعامة يوسف بن تاشفين رحمه الله، وأقره الخليفة العباسي أحمد المستظهر بالله، ولقب بأمير المسلمين ناصر الدين.

4-أحداث وظروف السقوط:

- انحراف نظام الحكم عن نظام الشورى إلى الوراثي الذي سبّب نزاعًا عنيفًا على منصب ولاية العهد بين أولاد علي بن يوسف، كما تطلع مجموعة مِن الأمراء إلى منصب الأمير علي ونازعوه في سلطانه مما سبب تمزقًا داخليًّا؛ ففقدت الدولة المرابطية وحدتها الأولى، وكثرت الجيوب الداخلية في كيان الدولة.

-تعصب فقهاء المرابطين الذين كانوا يتمتعون بنفوذ سياسي ومالي كبير وحجرهم على أفكار النَّاس، ومحاولة إلزامهم بفروع مذهب الإمام مالك وحده، حيث عملوا على منع بقية المذاهب السنية

تعصبًا لمذهبهم. ويرى بعض المؤرخين أن التعصب الأعمى عند فقهاء المرابطين في زمن الأمير **علي بن يوسف** كان السبب الأول في سقوط دولة المرابطين، فقد أسهم بقسط وافر في تذمر الرعايا، وإضعاف شأن الإمارة، وخلق ردة فعل عنيفة عند أفراد المجتمع المرابطي.

-فقدان حركة المرابطين لكثير من قياداتها وعلمائها الكبار أمثال سير بن أبي بكر[1]، ومُحَمَّد بن مزدلي[2]، ومُحَمَّد بن فاطمة[3]، ومُحَمَّد بن الحاج، وأبي إسحاق بن دانية، دون أن يكون لهم خلف يحمل رسالتهم

-غزو النورمان لمدينة سبتة. وضعف جبهة المرابطين في الأندلس، بسبب اندلا ع ثورات عنيفة في قرطبة، وفي فاس وغيرهما ساهمت في إضعاف الوحدة السياسية وإسقاط هيبة الدولة المرابطية.

-اندلا ع ثورة **محمد بن تومرت** الموحدي ضد المرابطين ومن بعده عبد المؤمن بن علي، أعقبها وفاة علي بن يوسف سلطان دولة المرابطين سنة 537هـ / 1142م وتولي ابنه تاشفين، الذي اعتبر عهده بداية نهاية المرابطين، فقد انشغل بالفوضى الداخلية عن الموحدين.

الخاتمة

-دولة المرابطين دولة قائمة على عصبية دينية دعوية بحتة، تضاهي دعوة الرسول ﷺ قبيل إقامة دولته في المدينة.

-عمل ياسين بن عبد الله على إعداد رجاله في رباطه بالسنغال إعدادا روحيا وعسكريا صنع منهم قوة قادرة على بسط الدعوة واستعادة الإسلام الصحيح في المغرب بعد أن كاد أهلها أن يضلوا ضلالا لا رجعة بعده.

-تمكن يوسف بن تاشفين من حمل لواء الدعوة وبسط نفوذ المرابطين على رقعة واسعة تمتد من المحيط الأطلسي وشمال المغرب إلى التشاد غربا والصحراء جنوبا.

-تظافرت عوامل داخلية وخارجية في إسقاط الدولة المرابطية منها الانحراف عن النظام الشوري وتعصب الفقهاء وفقدان حركتها لقادتها، إضافة صراعها مع الأسبان والموحدين.

---

[1] هو قائد مرابطي قاد الجيوش التي قضت على ملوك الطوائف في الأندلس، وحارب خلالها المعتمد بن عباد أمير إشبيلية والمتوكل بن الأفطس أمير بطليوس، وتولّى بعد سقوطهم حكم إشبيلية حتى وفاته سنة 507هـ.

[2] أبو مُحَمد مزدلي بن تيلكان بن مُحمد بن وركوت اللمتوني الصنهاجي (ت 508 هـ/1115م) أمير وقائد في الدولة المرابطية، وهو ابن عم السُلطان يوسف بن تاشفين وقد شهد معه حروبه في المغرب ثم في الأندلس، وكان على مقدمة جيش المرابطين في معركة الزلاقة ثم ولاه ابن تاشفين أميراً على بلنسية.

[3] من قادة المرابطين برز وانتصر في معركة أقليش ضد ألفونسو السادس